دراسات فنية
مخبر الفنون والدراسات الثقافية
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
Algerian Scientific Journal Platform

المجلد: 05 العدد: 01 **(2020)** **ص 160/152**

الفن الإسلامي: قراءة في المفهوم والتصور

Islamic Art: A Reading in Concept and Perception

[1] **لصهب عبد القادر**، [2] **درق محمد**

[1] مخبر أنثروبولوجيا الأديان، معهد الآداب، المركز الجامعي مغنية، (الجزائر) lashababdelkader@gmail.com

[2] مخبر أنثروبولوجيا الأديان، معهد الآداب، المركز الجامعي مغنية، (الجزائر) drag.med@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2020/11/25
تاريخ القبول:
2020/12/11

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الفن الإسلامي
- ✓ الأيديولوجيا
- ✓ الإنسانية
- ✓ الفلسفات الغربية .

الملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)

يشكل مفهم الفن الإسلامي مقولة نقدية حاول الكثيرون الوقوف عند دلالاتها الاصطلاحية ومرجعياتها المشكلة أسسها المفهومية ومقولاتها ، وقد اختلف الدارسون حول قضية " علمية المصطلح ، وذلك باعتبار أنه تكريس لحمولات أيديولوجية تجسّد لمبأ التصنيف ، في حين رأى البعض أن المصطلح إحالة إلى البعد الإنساني المترفع عن براثن الانتماءات الضيقة . وبين القبول والرفض ترتسم أسئلة المفهوم والمرجعية المؤسسة له ، فما هو الفن الإسلامي؟ وما هي المرتكزات المعرفية والفلسفية التي يقوم عليها ؟

ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول الإجابة عن هذه الإشكالية ، مستعرضين أهم الجدالات النقدية حول المصطلح وكذا المحاولات التأسيسية له كمفهوم واتجاه .

Article info

Received
2020/11/25
Accepted
2020/12/11

Keywords:
- ✓ *Islamic Art*
- ✓ *Ideology*
- ✓ *Humanity*
- ✓ *Western Philosophies.*

Abstract : (not more than 10 Lines)

He concept of Islamic art is a critical saying that many have tried to stand at its idiomatic connotations and its problematic references, its conceptual foundations and statements. Scholars have disagreed on the issue of the scientific term, considering that it is a dedication to ideological loads that embody the principle of classification, while some saw the term as a reference to the human dimension that is above the clutches. Narrow affiliations.Between acceptance and rejection, questions of the concept and the reference found for it arise. WhatisIslamic art? What are the cognitive and philosophical foundations on which it is based?

Through this research paper, we will try to answer this problem, reviewing the most important critical debates about the term, as well as the foundational attempts for it as a concept and direction.

المؤلف المرسل : لصهب عبد القادر

1- تقديم :

تضيق الرؤى وتنكمش الفضاءات حين تفسح الأيديولوجيا مجالاتها المؤطرة بالصراع والاختلاف ، والمنبع واحد والمصير مشترك بين كل بني الإنسان ، والرسالة واحدة ، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؛ تلكم هي غاية الوجود الإنساني ، خلافة الله في أرضه . غير أن مفهوم الخلافة – الذي يحكم الوجود الإنساني – يتشعب وتتنازعه روافد وتيارات ، فتحيله جداول لا تسقي الحضارة ، بل تغرقها في أردان أوحالها ومضائقها .

إن الخلافة تعني إعمار الأرض على أسس من الحق والتسامي الإنساني ، ومن ثمّ كان التوجيه الإسلامي شاملا لمختلف ما يؤطر الوجود الإنساني ، وبذلك كان تجسيدا عمليا لمفهوم الخلافة ، إذ يخطئ من يرى في الإسلام مجرد أيديولوجيا ، أو تصورا مؤدلجا يجمع أطر هوية منغلقة ، لينسحب إلى صراع الأيديولوجيات ويمثّل طرفا فيه ، له تجاذباته الصدامية التي تتوخى إلغاء الآخر/المختلف وإقصاءه ؛ إن الإسلام لَيَنشُدُ صناعة مجتمع إنساني مشدود بفطرته إلى التنوع والاختلاف ، لكنه التعدد الذي يعني الوحدة ، والاختلاف الذي يؤسس أبجدية من أبجديات التوافق والتكامل والتواصل ، لتجتمع فيه كل التوجهات في نقطة جامعة ، غير فارقة ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون ﴾.

وتلكم هي رسالة الفن الإسلامي ؛ رسالة لا تقف عند حدود الانتماءات ، بل تتوخى بذل الجمال كقيمة وجودية تحضن الإنسان من حيث هو مختلف ومتعدد .

2- الفن الإسلامي : قضايا وإشكاليات المصطلح

شكّل انبثاق مصطلح " الفن الإسلامي " مثارا جدليا وزخما نقديا على مستوى المنظومة الفكرية العربية بين قبول للمصطلح وتحمّس له وبين رفضه والعزوف عنه ، غير أن هذا المصطلح بدأت دائرته تتسع والأذهان إليه تنشدّ باعتبار حمولاته المعرفية ومرجعياته الثقافية التي تنزاح نحو الاعتداد بالفطرة الإنسانية كمقياس للقيم الجمالية والتصويرية للفن ، وذلك من خلال محاولة المصطلح تحديد منهج إسلامي فطري للفن ، متعلق بالفطرة الإنسانية نابع عنها ؛ منهج يقوم على الرؤية الإسلامية للوجود في صورته الشمولية.

ترتبط حمولات المصطلح ذات أبعاد إنسانية عالمية بالعالمية والشمولية لعالمية الرسالة الإسلامية التي تأبى التقوقع في الدوائر الضيقة والمساحات المؤطرة بالحدود الأيديولوجية ، ومن ثم يكون هذا المصطلح تعبيرا عن أفكار الإنسان وتجاربه الفلسفية بعيدا عن الأيديولوجيات المرتبطة بالصدامات العَقَدية والمذهبية .

ومن ثمّ يغدو تسليط الضوء على مصطلح " الفن الإسلامي " وما يحمله من مكونات ثقافية ومرجعيات تؤطر المفهوم ، وكذا الثنائية التي تصنع منه مفهوما منفتحا على التجديد والمعاصرة بمثابة بسط للقيم المعرفية التي تصنع المفهوم وتؤطر طروحاته وكذا حمولاته.

حيث يعد مصطلح " الفن الإسلامي " من المصطلحات التي سجلت لنفسها حضورا في المدونة النقدية العربية الحديثة ، وذلك من خلال إشارات سيد قطب إلى المنهج الإسلامي في الفن وما تلا ذلك من كتابات تقعيدية حاولت بسط القيم المعرفية والمرجعيات الثقافية المؤسسة لمصطلح " الإسلامية في الفن " ، وذلك بإبراز العلائق الرابطة بين الفن كرسالة جمالية والإسلام

كرسالة وجودية تؤطر الإنسان وترسم سبله الحياتية ومذاهبه الاعتقادية وتوجه أنماطه السلوكية بما يتوافق وفطرته .

بيد أن المصطلح حمل بعض اللبس عند البعض ، وصوره البعض على أنه فن ديني يرتكز على الوعظ ويتأسس فنيا على استحضار التراث والغوص في آثار السالفين ، في حين رأى البعض أن الالتفات إلى المصطلح يعد من قبيل التهافت الأيديولوجي الذي لا يخدم الفن بقدر ما يغلّه ويقيده . ومن زخم ردود الفعل المتباينة أخذ المصطلح يدفع بأبعاده التي يتضمنها –كمفهوم – وكذا المرجعيات التي يقوم عليها كاتجاه وكمنهج أدبي .

فقد أثار مصطلح " الفن الإسلامي " جدلا نقديا بين الدارسين ، حيث اعتبره البعض تكريسا للأيديولوجيا ونوعا من التصنيف المبني على تضييق الخانات ، بينما حاول البعض رسم الحدود المعرفية للمفهوم باعتبارها تأسيسا للنموذج الإنساني الشمولي الذي يترفع عن الاختلافات ، " كلكم لآدم وآدم من تراب " ، وبذلك تكون فضاءات الانتماء الإنساني هي القضايا المطروحة للتناول الجمالي ؛ فضاءات تصنعها الفطرة .

ولعل ظهور مصطلح " الفن الإسلامي " كاتجاه فني يتوخى تقديم نموذج إبداعي جمالي زاد من حدة رفض المصطلح ، فقد " جد الباحثون في حشد الأدلة لقضية الضعف والقوة في الأدب الإسلامي نفيا وإثباتا لمقولة نقدية مغرقة في الذاتية ، تعوزها الدقة والموضوعية وتمثل مقياسا يتخذ زاوية محددة في رؤيته المقيدة باتجاه يفصل بين الأدب والدين ، ويرى الفحولة بما يتناسب ومنهج عمله ، من غير حسبان للانعطاف الجديد والحياة الجديدة بمؤثراتها العميقة الواسعة "[1].

ومن ثم تنامت خطابات الرفض لـ " أدلجة " مصطلح الفن وحصر رسالته في توجه مبني على ما هو مختلف عليه ، فالإسلام بالنسبة لمن رفض هذه التسمية لا يمثل عقيدة كل البشرية ، وبالتالي فإن محاولة " أسلمة الفن " تغدو ممارسة إقصائية في حق نماذج أخرى من الفنون والثقافات .

كما يراه البعض " حالة مرضية تدل على التعصب وضيق الأفق ، وتصدر عن عدوانية متحفزة ، وتخلط بين الإبداعات البشرية المتغيرة والمواقف الدينية الثابتة "[2]، فالإسلام عقيدة (دين) والفن ممارسة تنبع من تفاعلات الإنسان مع وجوده ومع عواطفه وطموحاته وهواجسه ، ومن ثم تكون علاقة الإنسان مع الدين عمودية المسار في حين تأخذ علاقته بالوجود مسارا أفقيا وبالتالي لا يمكن لهما الالتقاء .

حيث " وفي عام **1996** تساءل رئيس الاتحاد العام للأدباء العرب على ملإ من الصحافة اليومية في عمّان هل هناك أدب إسلامي ؟ وعن إمكانية أن يكون عند الناس أدب مسيحي وأدب روسي وأدب هندي ؟ "[3].

وفي مقابل ذلك قام تيار يرى في تلك الخطابات أنها لم تكن تنبع عن معاينة حقيقية للبعد الثقافي للمصطلح ؛ بعد يتجلى في تلك الشمولية التي ينشدها الإسلام باعتباره دعوة عالمية غير مختصة بالزمان والمكان أو الجنس أو اللغة ؛ ذلك أن الفن له علاقة وطيدة بالإسلام كدين وكمنهج فـ " الدين جاء لتنظيم حياة البشر وإقامتها على أصول ثابتة واقعية منظمة تحمي ذلك الكيان العام ، وتفتح الطريق لنموه المستمر ، وتخلق فيه الحوافز البناءة ، وتمده بالأمل ، وتثيره إلى العمل والإنتاج ، وتحقيق السعادة الدنيوية الحقيقية التي تؤدي بدورها إلى السعادة الأخروية ، وتمدّ المؤمن بالشوق إلى الاكتشاف وارتياد المجهول . والفن هو تعبير عن الكون والحياة والإنسان من خلال التصور الديني ، لكأنّ الفن جزء من الدين ، أو نبض من نبضاته أو موج بقيمه وروحه ، من أجل السعادة المشار إليها . لا تعارض إذن بين الدين والفن في ظل المفاهيم الإسلامية "[4].

وكما اختلف في قبول المصطلح أو رفضه شابت كثير من أوجه الاختلاف كتابات المنظرين للفن الإسلامي ، حيث اتجه

البعض إلى أن المصطلح يتوخى الشمولية الإنسانية في تجلياتها الفنية ، من غير مراعاة للعقيدة ، فعدّ "**طاغور**" مثلا من دائرة "الأدباء الإسلاميين"، في حين قام البعض الآخر بنحو مناح أخرى من مدارسة المصطلح وذهبوا إلى أن الفن الإسلامي هو الفن الذي يصدر عن المسلم ، أما الفن الذي يتوافق مع التصور الإسلامي ، في ناحية أو أكثر ، فهو فن الفطرة السوية ، ذلك لأن الفن الإسلامي "يحمل في طياته ، مهما كان موضوعه ولونه ، أثر الإيمان وسيمات التصور الإسلامي ، وروح هذه الحياة المنبثقة عن الإسلام ، إنه جزء من شخصية صاحبه "[5].

وفي خضمّ تجاذبات الاستعمال المطلحي لـ "إسلامية الفن" بين القبول والرفض ، راحت كثير من النماذج الفنية تبسط قيمها الجمالية في روح إسلامية متسامية عن السقوط في مضايق الأيديولوجيا وسراديبها المظلمة المعتّمة .

ومنه تكون إسلامية الفن تصورا فكريا في تعبير جمالي ، لا يقف عند حدود الاستعانة المباشرة أو غير المباشرة بمعاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وإنما نلمسها في التعبير عن صدى القيم في النفس تعبيرا حيويا منبثقا من التصور الإسلامي ، فهي تتعدى ما يلوح في ظاهر النص إلى ما يجول في داخله من فكر وإحساس وتصور ، وما يعرف فيه من إيحاء بمواقف إسلامية[6] .

وبالرغم من المحاولات الجادة لرسم فضاءات المصطلح من لدن كثير من المرجعيات النقدية العربية المعاصرة ، إلا أن هذا التوجه لا يزال في بداياته ، كمحاولة لتأسيس لنظرية الفن .

وفي ظل الزخم الذي بدأت تعرفه الساحة النقدية من حضور لطروحات توخت تقديم / بسط رؤاها للفن وللرسالة الفنية ، باتت " الضرورة تقتضي القيام بمحاولات ، وصياغة مقدّمات ومداخل في أفق بناء نظرية تضاهي النظريات الغربية التي أغرم بها بعض نقادنا ، كما تقتضي اعتماد أسس وتصورات ومناهج تمتح من الرؤية الإسلامية الشاملة لتأمين التنظير والتطبيق معا "[7]

3- المرجعية الثقافية لمصطلح " الفن الإسلامي " :

تؤسس المرجعية الثقافية لمصطلح " الفن الإسلامي " منطلقاتها النظرية من المفاهيم الإسلامية للوجود ، وكذلك من التوجه التوجيهي / الإرشادي للمنظومة الوجودية الإسلامية ، فهو مصطلح يحاول بلورة اتجاه و تعديل مسار ، وذلك من خلال تحديد منهج إسلامي فطري للفن متعلق بالفطرة الإنسانية نابع عنها ، إن سويت سوي الفن وإن انحرفت و تمزقت شذ الفن وفسد، فالفن في التصور الإسلامي هو الذي ينطلق من الفطرة الإنسانية السوية غير المنحرفة وهو فن " يلتقي مع الإيمان الذي غرسه الله سبحانه وتعالى في فطرة الإنسان ، بل هو ثمرة من ثمار هذا الإيمان ، ونفحة من نفحاته و خفقة من خفقاته "[8]. إنه وعاء الأفكار و التصورات ، وعاء الذات و الوجود، فهو " ينمو مع الإنسان و الجماعة و الأرض و البيئة حتى يصور الأمة كلها"[9].

أمة تصنعها الفطرة السليمة ، تلك الفطرة النابعة من تصور حقيقي للرؤية الإسلامية، ومن هنا يلتقي الفن كوعاء بالإسلام كرؤية و تصور للوجود .

إن الفن الإسلامي ، كما يعرفه محمد قطب ، هو " التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان ، من خلال تصور الإسلام للكون و الحياة و الإنسان "[10] ، و يذهب الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا إلى أن الفن الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأدب / الفن ، تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته، و لا يجافي القيم الإنسانية[11] .

وكما يتأثر الفن بالفطرة فهو يؤثر فيها ، بل و يعدل من مسارها ، تأثير الدين ، وما تنزيه القرآن الكريم للنبي صلى الله عليه

وسلم عن صفة الشعر إلا دليل على عظيم تأثير الشعر في النفوس لا قدحا فيه[12] ، فالفن والدين متعانقان – كما تقول ثريا ملحس[13] و الفن شأنه شأن الدين ، كما يعبر عن ذلك الأستاذ لخضر عرابي ، " فكلاهما يثيران في النفس ، عن طريق السمو في اللب و الأسلوب ، إحساسا علويا و يستدران عطف الإنسان على جميع المخلوقات والكائنات ، و يملآن القلب بالمشاعر النبيلة الرحيمة ، و يستلبان الإعجاب بصورهما الفنية الرفيعة"[14] ،والشعر الإلهي هو أرقى درجات الإبداع الإنساني عند أرسطو،كما طرد أفلاطون الشعراء من جمهوريته إلا من كان شعره يزخر بروح الآلهة ،فقد أجمع مؤرخو الفن أن البدايات الأولى للفن كانت في أحضان العقيدة ، وأن الفنان الأول كان هو الكاهن نفسه ، و أن الشعر – أعرق الأجناس الأدبية والفنية قاطبة – نشأ في محاضن العقيدة في آداب الأمم كافة [15].

إن الفن رؤية و تصور ، و العقيدة كذلك، يلتقيان في الهدف و الغاية؛ صنع الإنسان و رسالة الإصلاح والتقويم ، وهما كذلك يلتقيان في كونهما شعورا و إيمانا، لأن طبيعة الدين هي ذاتها طبيعة الفن ، " فكلاهما شخصي و عاطفي ، و في هذا يقول دوننللي :" إن الشعور في الدين يكون عبادة ، و في الفن يكون مجسدا للمثل ... وكلاهما شخصي يتخللهما الشعور والإحساس "[16] ، و كما يقول محمد قطب ف :"الدين يرتبط في حقيقة النفس بالفن،فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة، وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال... و كلاهما ثورة على آلية الحياة . فحين تتلبد النفس ، فيمر الإنسان على هذا الكون مروراًآليالا يراه ولا يحسبه في أعماقه ... لايثير فيه الشوق العلوي، لا يتفتح لغاياته وأهدافه وروابطه، ولايستجيب استجابة حية لما يربطه بالله والكون والحياة والناس من صلات ... ولا تنطلق نفسه في الأفق الأعلى الذي تلتقي فيه كل هذه الصلات .. فإنه يكون قد ضيق على نفسه المنافذ ، و حصر عالمه في نطاق ضيق محصور . و يكون قد أغلق نفسه دون عالم العقيدة . ومن هنا يلتقي الفن و العقيدة في أعماق النفس،كما يلتقيان في أعماق الوجود " [17]

وهكذا تتجلى علاقة الفن بالدين باعتبار رسالة الفن تهذيب السلوك الإنساني ، و الدين الفن فعاليتان إنسانيتان من حيث الممارسة و الأداء ، لا سبيل للاستغناء عنهما"[18] ، والفن في الإسلام " تعبير رائع عن النفس و الكون و الحياة ، ينماز بالأصالة والصدق ، ويبتعد عن الزيف و التزوير "[19] ،و مادته " هي الحياة و النفس الإنسانية ومقوماته هي الصدق و الأصالة الفنية و المضامين السليمة "[20] .

ولعلنا ندرك مما سبق أن العلاقة بين الدين و الفن علاقة وطيدة لا انفصام لها، إذ يقوم الفن بتثبيت أركان المعتقد الديني، و من هنا ظهر اصطلاح الفن الإسلامي كمفهوم لفن ذي مرجعية إسلامية ، و لقد اتسعت دائرة الاهتمام به في السنوات الأخيرة بالرغم من أن الجهود المبذولة في هذا الميدان لا تزال دون الآمال الكبيرة التي تخفق في الصدور ، و لا يعني هذا انتقاص مبادرات الرواد الذين حاولوا جاهدين التأسيس لمفهوم الفن الإسلامي ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ أبو الحسن الندوي – رئيس رابطة الأدب الإسلامي السابق – و الأخوين سيد قطب و محمد قطب و الأستاذ عبد الرحمن رأفت الباشا و الدكتور عماد الدين خليل و مصطفى الغماري ، والدكتور أحمد بسام ساعي و نجيب الكيلاني ، وعلي أحمد باكثير، وغيرهم من الكتاب و الشعراء و النقاد والفنانين على المستوى النظري والتطبيقي، ... فكيف قدم هؤلاء تصورهم لإسلامية الفن ؟

4- مفهوم الفن الإسلامي :

إن التوجه الإسلامي للفن ليس وليد الدراسات النقدية الحديثة وإنما ارتبط بتاريخ الإسلام منذ عصوره الأولى ، ففي عهد

النبوة ، ظهرت الخصائص الإسلامية في الشعر – باعتباره فن العربية الأول – عن طريق توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم للشعراء ، بل إن النص القرآني حمل رسالة توجيه هذا الأدب من خلال قوله تعالى ﴿**و الشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون،وأنهم يقولون ما لا يفعلون ،إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا** ﴾[21].

فالشعر إذن مرتبط بالعقيدة الإسلامية خادم لها ينهل منها وإليها يؤول، وقوله تعالى:﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا**﴾يمثل توجيهاً صريحاً لمقصدية الإسلام في الشعر وارتباطه به "يبرز بلا شك حقيقة لفن إسلامي أصيل لأنه لايستمد مقاييسه وكيانه من واقع فلسفة منحرفة وإنما من واقع تصور إسلامي للوجود "[22]

فالفن الإسلامي ليس وليد اللحظة الراهنة وقصة العقل المسلم مع الإبداع بشكل عام ليست فكرة لقيطة رمت بها صيرورة الأحداث إلى الواجهة كحالة رد فعل عكسي اتجاه الممارسات والاستفزازات اللاإنسانية التي ووجه بها المثقف المسلم طيلة الحقب المنصرمة، بل هو على العكس وليد شرعي لأزيد من ثلاثة عشر قرناً من المخاض والفكر والعطاء الإنساني المتدفق في شتى ميادين المعرفة ومن بينها الفن والأدب ، بدءًا بحسان بن ثابت وكعب بن مالك – رضي الله عنهما – حينما حررا القصيدة العربية من الرجس والمعصية والهراش العشائري إلى صراع من أجل إثبات الحق وإبراز المثل السامية التي جاء بها الدين الجديد، متجاوزين بذلك حاجز القبيلة والآصرة و اللون إلى وشيجة أقوى هي وشيجة العقيدة[23].

فالشعر – حسب تعبير محمد إقبال عروي – حقق نقلة نوعية ، إذ " كان الشاعر يلج سوق عكاظ ، ومع تلك الحضارة الجديدة أصبح يلج بيوت الله ، و بعدما كان يحتضن بالمال والشهرة و القبيلة صار يحتضن ببردة النبي صلى الله عليه وسلم"[24].

وهكذا حمل الشعر – كفن – رسالة هذا الدين ، بل قاوم ونافح عن العقيدة معلنا تصورها لله والكون والإنسان، فارتفعت منزلة الشعر إلى ذروة الشرف و قمة التكريم، حين حمل البيان رسالة الله إلى الناس قرآنا معجزاً، وآيات بينات ووحياً يتنزل من السماء ، ليمثل أعلى مستوى للبيان والأدب ، والتعبير والصورة والفكر والتصوير، ليظهر حياة الإنسان كلها عبر العصور، ويكون آية الأزمان وإعجاز العصور ، وظل الأدب – الفن العربي بامتياز – بين مد وجزر ،يرتمي في حضن العقيدة أحيانا وينزاح عنها أحيانا أخرى ،وتؤثر فيه الهزات التي تعرضت للأمة ، فنراه أدبا للمجالس والطرب، ونلفيه أدبا لمجالس التذكير والوعظ، يرنو إلى نور الخلاص الإنساني، ويتعثر بأوحال مادية الإنسان والحضارة،لكن رسالته ضلت دائماً تحمل تباشير الحلم بعودة الإنسان إلى إنسانيته ، وتلكم رسالة الأدب في إنسانيته وإسلاميته ،في شموليته وعالميته[25]

فسمات الفن الإسلامي–حسب الكيلاني–"سمات إنسانية عالمية ترتبط بالنفس الممتزجة بموضوعات الوحي والمبادئ الدينية القومية وان هذا الشمول والعموم يجعل العالمية اقرب إلى الكمال وادعى إلى الإتباع والاعتناق"[26].رسالة تأبى التقوقع في الدوائر الضيقة والانحصار في مفاهيم الشعائر والطقوس ،فرسالة الفن الإسلامي"لا تنحصر فقط في التعبير عن الإسلام وتعاليمه،بل تتعدى ذلك إلى التعبير عن أفكار الإنسان وتجاربه الفلسفية،ومعاناته اليومية،وما تجيش به النفوس من وجدان وشعور وانفعال ، مهمة تعبر عن النفس الإنسانية وعن الطاقة الكونية الضخمة،وعن الحركة الحية في هذا الوجود،أو تعبر عن حب الإنسان للطبيعة وعن حقيقة الحياة"[27].

إن الفن ذا التوجه الإسلامي إنما ينأى عن الأيدلوجيات المرتبطة بالصدامات العقدية والمذهبية ، والتي ظل الفن يضطرب بين اتجاهاتها المتعاكسة والمتنافرة، "ينتقل من عقيدة إلى أخرى ليحل فيه المعتقد البديل ، وكل ما يحويه هذا المعتقد من حيرة وتخبط لبعده عن صوت السماء "[28] ، فنظرية إسلامية الفن إنما خلصته من ربقة المعتقد والمعتقد البديل ومن سلطة المكان والزمان،انه

الإنسانية بكل امتداداتها التاريخية والحضارية والوجودية، وعالميته إنما تجسد حقيقة هذا الدين وأزليته،ورسالته التي جعلها: "ملكاً للناس أجمعين وعدم تشبثها بالنفوس المريضة المنحرفة ، وهبها الله صفة التعميم والموائمة لبني البشر كلهم"[29]،

وخصوصية هذا الفن نابعة من خصوصية العقيدة الإسلامية،فالإسلام دين أزلي خالد، ينهل خلوده من خلود منبعه، وهو "دين شامل لا يعرف حدود الزمان والمكان وإن تلاءم معهما وتمشى مع منطقهما المتطور المتجدد الأشكال، الثابت الجوهر،ولذا فالإسلامية من الوجهة الأدبية والفنية أرحب من المذاهب وأوسع من القيود"[30]

وصفة الإسلامي لا تعني البتة أنه ذاك الفن الصادر فقط من الفنان الملتزم بدين الإسلام،بل أنه ليشمل كل فن تتحقق فيه خصائص"الإسلامية"،"التي تعني الإنسانية ، بشموليتها وفضاءاتها المنفتحة على التواصل الحضاري والحواري بين كل بني الإنسان.

وعبارة الفن الإسلامي إنما تتضمن كلما نتصوره من فن لحمته وسداه الإسلام بقيمه ومبدئه، و تفيض منه العاطفة الدينية لتوجهها و إخلاصها ،ومنه يمكن القول إن الفن الإسلامي هو عبارة عن صياغة التجربة الحياتية صياغة جميلة معبرة موحية من خلال التصور الإسلامي له[31]، وهو ليس تقوقعاً للذات أو انغلاقاً وإنما ضرورة وجودية ورسالة حضارية دعامتها إخراج الإنسان من دائرة قلقه العدمي إلى معيشة موصولة بالآخرة، باعتبار أنه ليس حركة من داخل الإنسان تستجيب لتجربة شعورية، أو موقف عقلي وإنما هو "حركة من خارج الإنسان تمده بالصواب وتخرجه من التوتر و الفوضى"[32]. نتيجة لهذا فإن الفن الإسلامي هو "التعبير الفني الذي يستلهم الوحي الثابت ويحقق انسجام حركتين وتطابق الإرادتين"[33].

إن الفن الإسلامي أكبر من أن يسعه المذهب،أو تحويه الأيديولوجيا، بل هو فن إنساني ينبع من فطرة الله التي فطر الإنسان عليها ، شامل شمولية الرسالة الإسلامية ، وعلى حد تعبير نجيب الكيلاني ،فالفنان المسلم " ملتزم بمنهج شامل في الحياة ،يعبر عنه بالقول والعمل ويتمثل في وحدته مع نفسه، في اندماجه مع أفراد مجتمعه ... وهذا المنهج الشامل ليس محصوراً في نظرية اقتصادية مغلقة ، ولا في مدرسة فلسفية مقفلة،ولا يرتبط بأية بقعة على وجه البسيطة دون غيرها ، ولا بدولة ذات مذهب بعينه وإنما يتسم هذا المنهج بسمات إنسانية عالمية تتسع لبني البشر أجمعين ، وتمجد الفضائل البشرية من حب وأخوة وشجاعة ورحمة "[34].

فهو فن موجه لكن منهجه الذي يلتزمه في كل مجالاته لا يكون موجها على طريقة التوجيه الإجباري عند أصحاب التفسير المادي للتاريخ – على حسب تعبير سيد قطب- وإنما لتكييف النفس البشرية أو الإنسانية لتصور الإسلامي ، وهو حينئذٍ سيلهمها ألوانا من الفنون وصوراً لا يلهمها إياه التصور المادي أو أي تصور آخر[35].

فالفن الإسلامي- وفق شموليته هذه – ينظر إلى الحياة نظرة إيجابية مشرقة،"الكون فيها جميل حي متناسق متعاطف مع الإنسان ، والمخلوقات كلها أصدقاء للإنسان ، والإنسان مكرم ذو إرادة وطاقة ، والغاية واضحة ، والحياة ممتدة ... هذا كله يمنح الإنسان قوة دافعة واستبشارً بالحياة و إقبالاً على العمل والنتاج على النقيض من النظرات السود التي ترى في الحياة لعنة الوجود أو تراها خالية من الغاية،تملا بانتهاب للذات ، وهو إضافة إلى نظرته التفاؤلية للحياة،إنما يرصدها لنظرة جمالية واسعة،نظرة تجاوز بها الفن الإسلامي النظرات الجمالية المادية المحدودة ، لشمول النظرة الإسلامية التي تضم أطراف الوجود مادة ومعنى ، شكلاً جميلاً وقيماً جميلة من خلال كلية تعد الجمال أصلاً في بنية الكون ، وفي خلق الإنسان والمخلوقات،صفات ومعاني ومشاعر ، بما يرفع من شأن النظرة الجمالية و يغنيها [36].

إن الفن الإسلامي بشموليته ورقيه تجسيد لحماية الإنسان،وملاذه وتمثيل للدور الإنساني،وهو بهذا يمثل التصور الإنساني للغاية والهدف الذي يعيش لها الإنسان في هذه الحياة.

خاتمة :

الفن الإسلامي إن قدّرت له مواهب راقية ومحاولات جادة على مستوى الأداء الفني ، شكلا ومضمونا ، سيضحي مؤهلا بحق للعب أدواره الحضارية المنوطة به ، كرسالة لها أبعادها التكوينية، أدوار تكرّس مفهوم "الوجود الإنساني" وتنتشله من ربقة النزعات العدمية المحيلة إلى الضياع والشتات والقلق والاغتراب.

الهوامش:

[1]– مصطفى عليان : مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي ، دار المنارة للنشر ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1405 هـ / 1985 م ، ص 11.

[2]– عبد الحميد إبراهيم : الأدب الإسلامي والخروج من المأزق ، مجلة الأدب الإسلامي ، س3 ، ع 11 ، محرم – صفر – ربيع الأول 1417 هـ / أيار (مايو) – حزيران (يونيو) – تموز (يوليو) 1996 م ، ص 16.

3– عمر عبد الرحمن الساريسي : معالم الأدب الإسلامي ، المصطلح – الخصائص – القضايا – الفنون ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط1 ، 1424 هـ / 2003 م ، ص 69.

[4]– نجيب الكيلاني : حول الدين والدولة ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1391 هـ / 1971 م ، ص 53-54.

5– محمد حسن بريغش : الأدب الإسلامي ، أصوله وسماته ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1416 هـ / 1996 م ، ص 113.

6– عدنان رضا نحوي :الأدب الإسلامي – إنسانيته وعالميته ، دار النحوي للنشر والتوزيع ،الرياض المملكة العربية السعودية، ط3،1415هـ/1994م، ص 12.

[7] – محمد امهاوش : قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث ، الدكتور نجيب الكيلاني نموذجا ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، الأردن ، 2010 ، ص 131 .

[8]– عدنان رضا نحوي :الأدب الإسلامي – إنسانيته وعالميته ،ص26.

[9]– المرجع نفسه ، ص 26.

[10]– محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ،دار الشروق ،بيروت ،ط6،1403هـ/1983م،ص06

[11]– عدنان رضا نحوي :الأدب الإسلامي – إنسانيته وعالميته،ص33-34.

[12]– أشارة إلى الآية الكريمة وهي قوله تعالى ﴿وماهو بقول شاعر﴾،بعد أن قال مشركوا قريش أن الأثر الذي يتركه القرآنفي نفس متلقيه إنما هو كأثر الشعر،فرد عليهم القرآن الكريم أن ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم وماله من أثر،إنما هو حقيقة هذا الدين .

[13]– ثريا ملحس :القيم الروحية في الشعر العربي ،ص 96

[14]– لخضر عرابي : أغراض القصص القرآني عند سيد قطب ، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب (مخطوط) جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية،قسم اللغة والأدب العربي،1422هـ/2001م،ص408.

[15]– عبدالباسط بدر :مقدمة في الأدب الإسلامي، دار المنارة للنشر،جدة، المملكة العربية السعودية،ط1405،1هـ/1985م،ص25.

[16]– محمد البشير:الأدب الإسلامي والمنحى النفسي،ص157.

[17]– محمد قطب: منهج الفن الإسلامي ، ص05.

[18]– لخضر عرابي : أغراض القصص القرآني عند سيد قطب ،ص406.

[19]– نجيب الكيلاني :الإسلامية والمذاهب الأدبية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط4،1985م،ص13.

[20]– المرجع نفسه ، ص 13

[21]– سورة الشعراء / الآيات من 224-227.

[22]– محمد بلبشير:الأدب الإسلامي والمنحى النفسي ،ص160

[23]– أحمد الاشهب :حاجة الأدب العربي إلى الأخذ بالتصور الإسلامي ،مجلة المسلم المعاصر ،السنة 23،ع89،ص113،114

[24]– محمد إقبال عروي : جمالية الأدب الإسلامي ، المكتبة السلفية ، الدار البيضاء،ط1،1986م،ص 25.

[25]– عدنان رضاً نحوي:الأدب الإسلامي إنسانيته عالميته،ص24.

[26]– نجيب الكيلاني :الإسلامية والمذاهب الأدبية،ص69.

[27]– لخضر عرابي: الأدب الإسلامي:ماهيته ومجالاته ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر،2003،ص63.

[28]– عبد الباسط بدر:مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي،دار المنارة للنشر،جدة،السعودية،ط1،1405هـ/1985م،ص31

[29]– عبد الباسط بدر:مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي،دار المنارة للنشر،جدة،السعودية،ط1،1405هـ/1985م،ص31

[30]– نجيب الكيلاني :الإسلامية والمذاهب الأدبية،ص69.

[31]– المرجع نفسه،ص95

[3232]– عبد الحفيظ بورديم.في مصطلح الأدب الإسلامي، مجلة كلية الأدب ، ع1، المجلد الثاني،نوفمبر2000 ،ص57.

[33]– المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[34]– نجيب الكيلاني :الإسلامية والمذاهب الأدبية،ص31.

[35]– ينظر : سيد قطب:في التاريخ...فكرة ومنهاج، دار الشروق.القاهرة،ط5،1402هـ/1992م،ص 27، 28

[36]–راجع : محمد عادل الهاشمي : في الأدب اللإسلامي –تجارب و مواقف ص 40